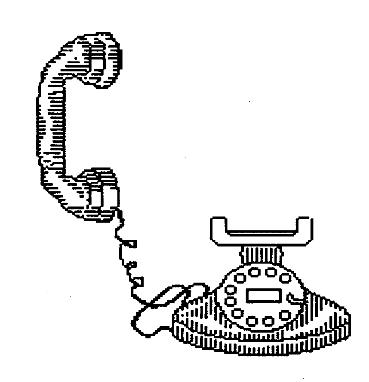
بكر بن عبد الله أبو زيد

أدب الهاتف



مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

مكتبة السنة لصاحبها شرف الدين محمد عبد الفتاح حجازى

رقم الايداع : ٢٤٧٨ / ١٩٩٦
طبع بدار **نوبار** للطباعة



القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ، ناصية شارع الجمهورية ،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - فاكس : ٣٩٢٦٢٥٠ - تلكس : ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى صحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن آداب الهاتف الشرعية، مخرجة فقهًا على آداب الزيارة، والاستئذان، والكلام، والحديث مع الآخرين، في المقدار، والزمان، والمكان، وجنس الكلام، وصفته، وجميعها معلومة، أو في حكم المعلومة في نصوص الشرع المطهر، وجميعها أيضًا تأتي في قائمة الفضائل والمحاسن التى دعا إليها الإسلام؛ لبناء حياة المسلم على الفضل والفضيلة، والأخلاق العالية الكريمة، ثم جميعها مبني على الرفق واللطف، والتَّأسي بنبي هذه الشريعة المباركة العظيمة ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه».

وثبت أيضًا قوله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله». رواهما مسلم.

وهى آداب مطلوبة من الطرفين: المُتَّصِل، والمتصَل عليه، وإن

كان بعضها في جانب المتصل آكد؛ لأنه هو الطالب، والطالب قريب من السائل غالبًا، ففي موقفه ضعف؛ فليجبره بحسن الأدب.

ومن هنا صار التحلي بهذه الآداب وأمثالها عمارة للمدينة الفاضلة في الإسلام، مبنية على نشر الإخاء، والتوادد، وحسن التعامل، وحفظ العهد، ورعاية الأمانة، وتنمية المصالح، ودرء المفاسد، فحقًا صارت هذه الآداب من مقاصد الإسلام.

وإليك بيانها واحدًا إثر واحد، وإن كانت في الجملة تختلف أحكامها باختلاف أحوال الناس، وأزمانهم، وأماكنهم وأقدارهم، وقدراتهم، واللبيب الموفق يقدر الأمور في مجاريها الشرعية، ويلتمس العذر لمن فاته شيء منها؛ إذ الناس ليسوا على مرتبة واحدة في التعقل، والتعلم، والذوق، وحسن التصرف، والسعيد من إذا بُصِّر تبصَّر، وإذا ذُكِّر تذكَّر، وهذا سياق جملة صالحة منها، دعاني إلى تدوينها ثلاثة أمور:

* **الأول**: لتكون تذكرة لي، ولمن شاء الله من إخواني.

* **الثاني**: التنبيه على محذورين كثُر تأذي الناس من تعامل الآخرين بهما.

سكوت المتصِل إذا رفعت «السماعة» حتى يتكلم المتصَل عليه فما أن يعرف الصوت إلا ويضع المتصل السماعة، ويأتي توجيه التحذير منه، والنهي عنه، وأنه غاية في سوء الأدب.

وتسجيل المكالمات الهاتفية دون إذن المتكلم وعلمه، وهذا تَخَوّن في الأمانة، وضمور في الحياء.

* **والثالث**: أن «الهاتف» - التلفون - و«النداء» - البيجر - والهاتف الآلي: «الجوال»، أصبحت تُكَوِّن دورًا مهمًا في الحياة، فهي أهم وسائل الاتصال الشفوية، وأسرعها، وتعطي المتهاتفين فرصة الإيضاح بلا عناء مكاتبة، ونحوها، فكم فيها من توفير الجهد، والوقت، والمال، وتلبية المطلوب بأقصر وقت، ورفع مشقة الذهاب، والإياب، بل والسفر لأمور تُقْضَى بواسطة الهاتف، فلله الحمد على نعمه.

لهذا صار حقيقًا ببيان آداب استعماله شرعًا فإلى بيانها:

□ صحة الرقم أولاً:

تأكد أولاً من صحة الرقم قبل الاتصال؛ حتى لا تقع في غلط، فتوقظ نائمًا، أو تزعج مريضًا، أو تُشْغِل غيرك عبثًا،

فلا تتصل إلا بعد توفر أمرين: رقم مكتوب أمام بصرك، أو متأكدًا منه في ذاكرتك، ولا تضع إصبعك على رقم الهاتف إلا وتُتْبِعَه البصر، فإن حصل خطأ، فتلطف بالاعتذار، وقل: «معذرة».

ويا أيها المتصل عليك، لا تنفعل حينما يحصل شيء من ذلك فتحَمَّلْه، ولا تعنف، وإن قلت له : «فضلاً: الرقم غلط» فإنه إن كان غالطًا حقيقة، فهو غير آثم، وقد أدخلت عليه السرور، ولا سبيل لك عليه شرعًا.

وإن كان متعمدًا الإيذاء، فقد نفذه سهم اللطف، ولك الأجر، وعليه الوزر.

وتغافل عن أمور إنه لم يفز بالحمد إلا من غفل

□ وقت الاتصال:

إذا كان لك حاجة في الاتصال فاذكر أن للناس أشغالا وحاجات، ولهم أوقات طعام، وأوقات نوم وراحة، فهم والحال ما ذكر، أولى بالعذر منك لضرورة أو حاجة.

ولهذا منحت الشريعة الشخص المُزَار، ومثله المتَّصل عليه: حق الاعتذار، دون اللجوء إلى الكذب: فلان ليس في الدار، وهو

فيها. قال الله تعالى: ﴿وإنْ قِيل لَكُمُ ارْجِعـوا فَارجِعُوا هو أزكَى لكم﴾ [سورة النور، الآية: ٢٨].

فـعليك تحـري الوقت المـناسب، مـراعـيًا ظروف العـمل، وارتباطات أخيك، وما عليه من واجبات ومـسئوليات، ومراعيًا ما لدى أهل البيت من أوقات نوم وراحة وطعام.

وانظر كيف أمرت الشريعة، الأرِقَّاء، والصغار بالاستئذان في ثلاثة أوقات: قـبل صلاة الفـجر، ووقت الظهـيرة، وبعـد صلاة العشـاء، أما الأحرار البـالغون فيـجب عليهم الاستـئذان في كل الأوقات، كما في سورة النور [٥٨-٥٩].

ونهى ﷺ عن الطروق ليلاً، أى قدوم المسـافر إلى أهله ليلاً دون إعلامهم؛ حتى لا يقع الرجل من أهله على ما يكرهه من عدم نظافة، ولئلا يتخونهم، ولئلا يزعجهم أيضًا.

والخلاصـة: وظِّف حسن التعامل، مـراعيًا الوقت المناسب، وإذا اعتذر منك إلى وقت آخر فاقبل بانشراح صدر.

وإذا قيل: انتظر، فانتظر، وأنت مُنعم البال، غير متبرم.

* وحكم مـراعاة وقت الاتصال هـذا، هو في غيـر الأماكن

العامة المفتوحة على مدار ساعات الليل والنهار، كالفنادق، ودور التأجير للمسافرين، ومن في حكمهم.

وهذا مستفاد من الاستثناء في آية الاستئذان: ﴿ **لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** ﴾ [سورة النور، الآية: ٢٩]

وهي البيوت التي يقصدها كل من له حاجة فيها، لا تختص بأحد دون أحد؛ لما فيها من المتاع أي المنافع، كالمبيت ونحوه في الفنادق، ونُزُل المسافرين.

□ دقات الاتصال:

التزم الاعتدال والوسط، بما يغلب على الظن سماع منبه الهاتف. ولا تُحَدُّ دقات الاتصال هنا بثلاث للحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: « إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فلينصرف»؛ للحديث الآخر المبين لحكمة الاستئذان، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر» رواه البخاري.

وهذه غير واردة في المهاتفة.

لكن احذر الإفراط والمبالغة دفعًا لإيذاء المُهَاتَف ومن حوله،

وإزعاجهم. وهذا من أساليب الإثقال، والعنف، وفعل الظلمة المُروِّعين. والبلاء في هذا قديم، ومنه أن امرأة ذهبت إلى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ فدقت عليه الباب دقًا شديدًا، فخرج وهو يقول: « هذا دق الشرط» مستنكرًا لهذا.

وانظر إلى أدب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع النبي ﷺ إذ كانوا يقرعون أبواب النبي ﷺ بالأظافير. رواه البخاري في: «الأدب المفرد» والخطيب في: «جامعه»، وعنه القرطبي في: «تفسيره» (١٢/ ٢١٧).

ومثله في عصرنا: المنبه الكهربائي على أبواب البيوت، فلتستعمل بلطف لا بعنف وإطالة.

□ مدة الاتصال:

ومقياسها: لكل مقام مقال، ولكل مقال مقدار، فاحذر الثرثرة والإملال، والإطالة، والإثقال.

□ السلام من المتصل بداية ونهاية:

* المتصل هو القادم، فإذا رفعت سماعة الهاتف فبادر بالتحية الإسلامية: «السلام عليكم» فهي شعار الإسلام، ومفتاح الأمان

والسلام، وهي شرف لأمة محمد ﷺ.

ويجب الجواب على سامعه.

وبهذا وردت السنة الشريفة، فعن ربعي - رضي الله عنه - قال: أخبرنا رجل من بني عامر، أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم أأدخل؟» فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. رواه أبو داود.

فدل على تقديم السلام، فليقدم المهاتف السلام على الكلام، ولا يسكت حتى يكلمه المتصل عليه.

* **ومما ينهى عنه هنا**: هجر هذه التحية الإسلامية المباركة، والعدول عنها إلى نحو: «صباح الخير. صباح النور».

* **ومما ينهى عنه هنا**: المبادرة من المتهاتفين بلفظ: «ألو» ولو أفتاك الناس وأفتوك، فهي لفظة مولدة، فرنسية المولد، يأباها اللسان العربي؛ إذ تقلص ظلها.

وقد وفقت الاتصالات السعودية، بمبادرة استعلامات «دليل الهاتف» بقولهم: السلام عليكم، فحصل في هذا نشر عظيم لهذا الأدب الإسلامي الكريم.

كمـا وفق بها عدد من المسلمين الذين يسـجلون في هواتفهم رسائل لمن يهاتفهم.

جزى الله الجميع خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

* **ومما ينهى عـنه هنا:** سكوت المتصل إذا رفعت «السـماعة» حتـى يتكلم المتصـل عليـه، وهـذا فيه إخـلال بالأدب مـن عـدة جهـات لا تخفى.

منها: مخالفة السنة في بدء المستأذن، والقادم بالسلام.

ومنها: أن المتصل هو الطالب فعليـه المبادرة بالسلام، فالكلام طلبًا أو استقبالاً.

ومنها: أن بعض من ضـعف أدبهم، وضـمـر إحسـاسـهم ولطفهم، يقصد الفحص والتـعرف، هل أنت موجود، أم لا؟ فإذا رفـعت السمـاعـة، وقلت: نعم، عرف المراد فـوضـعهـا. وهذا التفحص من التـخون المرذول. قبح الله هذه الفعلة، وقـبح فاعلها وحسابهم على الله عز وجل.

* **إذا أجـابك** صاحب الهـاتف، وقال: من المتكـلم؟ فقل: فلان الفلانى، أو بما يعرف شخصك عنده.

واحذر الجـواب بما فيـه تعمـية مـثل: أنا. أنا صديقـه. أنا جاره. وهكذا.

عن جـابر ـرضي الله عنه ـ قال: اسـتـأذنت على النبي ﷺ فقـال: «من هذا؟» فـقلت: أنا، فقـال النبي ﷺ: «أنا أنا». رواه مسلم، وأبو داود، وزاد: كأنه كرهه[1].

ومن التعريف المبهم ما تسـرب إلى قلب الجزيرة العربية من الآفاقيين، إذا قيل له: من المتكلم؟ قـال: أبو فلان، فما عرفنا هذا من طريقة السلف، أنهم يعرفون الناس على ذواتهم بالكنى، وإنما بجر النسب: فلان الفلاني.

وكانوا يكتنون ليدعيهم انطالب بها.

هذا ما لم يشتهر الشخص بالكنية، حتى قامت مقام الاسم، ومنها في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أبو بكر، أبو ذر، أم هانيء، رضي الله عنهم.

* **واحذر** أن تقع في طبع من يحجم عن الإخبار باسمه، إذا لم يجد الشخص المراد، ففي هذا نقص في الأدب، واستصغار للآخرين، **وإشغال لبال أهل الدار، ومن أنت يا عظيم القدر في نفسه؟**

---

(١) وهي في البخاري (رقم ٦٢٥٠)، ومسلم(٢١٥٥/٣٩).

◻ ختم المهاتفة بالسلام:

كما بدأت المهاتفة بتحية الإسلام، فاختُمها كذلك بشعار الإسلام: «السلام» فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم، فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة». رواه أبو داود.

◻ خفض الصوت:

الزم الأدب العام في المحادثة والكلام: «خفض الصوت» فليكن صوتك في الهاتف منخفضًا، مسموعًا، متوسط الأداء، لا مزعجًا ولا مخافتًا.

وفي هذا أدب جم مع والديك، ومن في درجتهما في القدر والمكانة، ومع ذي الشأن، ومع من هو دونك في السن أو القدر، تدخل عليه السرور، وأن له عندك منزلة، فتكسب الأصدقاء والمحبين.

ولذا فاحذر، رفع الصوت عن مقدار الحاجة، واحذر المخافتة، فكل منهما إخلال بما أدبك الله - سبحانه - به، في قوله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿**واغضض من صوتك**﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٩]، وكم فيه من دلالة على ما لا ينبغي، ومنه قلة احترامك

لمن تتحدث إليه، وكم كانت طريقة بعضهم في المكالمات سببًا للحرمان من المطلوب أو من خير كثير.

* واحذر طريقة **النفّاخين الهزلاء**، الذين يثبتون شخصياتهم من خلال الهاتف بنغمات بغيضة هم يعرفونها.

□ الهاتف والمرأة:

وإن كان أحد المهاتفين امرأة، فلتحذر الخضوع بالقول؛ فإن الله سبحانه نهى نساء نبيه ﷺ أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - اللاتي لا يطمع فيهن طامع، وهن في عهد النبوة، وحياة الصحابة - رضي الله عنهم - نهاهن عن أن يخضعن بالقول، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٢]. فكيف بمن سواهن، إن نهيهن عن الخضوع في القول من باب أولى. **فاتقين اللّٰه يا نساء المؤمنين**، لا تخضعن بالقول، وقلن قولاً معروفًا في الخير، أي؛ بلا ترخيم ولا تمطيط، فلا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

* **ولتحذر** المرأة الاسترسال في الكلام مع الرجال الأجانب

عنهـا، بل ومع محارمـها، بما تنكره الـشريعة، وتأباه الـنفوس، ويُحْدِث في نفس السامع علاقة.

* **ولتحذر** رفع الصوت عن المعـتاد، وتمطيط الكلام، وتحسينه وتليينه، وترخيمه، وترقيقه، وتنغيمه، بالنبرة اللينة، واللهجة الخاضعة.

* وإذا كان يحرم عليها ذلك فيحرم على الرجل سماع صوتها بتلذذ، ولو كـان صوتها بقـراءة القرآن، وإذا شـعرت المرأة بذلك حرم عليها الاستمرار في الكلام معه؛ لما يدعو إليه من الفتنة.

وهنا يتعين على «الرجل» الراعي لأهل بيته، أن يرتب أموره على الستر والتصون، وحفظ المحارم، فلا تكون المرأة هي أول من يبادر إلى إجابة الهاتف مع وجود أحد من الرجال، ولا تجيب في حال غيـابهم في كل حال من الأحوال، بل حـسبما يوجـهها به ولي أمرها بما يراه حسب الأحـوال، والمقتضيات، وعليـها السمع والطاعة في المعروف، ورعاية الأصلح، وترك المشاقة.

□ إنزال الناس منازلهم:

راع الأدب في المهاتفـة حسب مقام المتكلم مـعك، ومنزلته، في السن، والقدر، والقرابة، وذى الشأن، لاسيما العالم العامل.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلوا الناس منازلهم» رواه أبو داود.

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». رواه أحمد.

ورأس الأمر: «الإسلام»، والناس فيه رتب ومنازل، حسب الطاعة، والمعصية، والبدعة المغلظة، والخفيفة.

أما الكفار فلهم معاملة تخصهم، بالتحية، ومقدار الكلام، وما إلى ذلك.

وبالجملة، فلتصاحبك عزة المسلم من غير كبرياء أو تنفير أو هضم حق شرعي معتبر.

* إذا كلمك صاحبك، فوجدت حفاوته أقل من المعتاد، فلا يؤثر ذلك عليك فتجفوه، والتمس له في نفسك العذر، فلعل لديه اهتمامات أخرى هي أهم، أو ما غَيَّر مزاجه، وكَدَّرَ صفو حياته، فعليك بحسن الظن - رعاك الله - وإن تكوّن لديك بالقرائن لا بالوساوس، أنها جفوة لأجلك، فكن خفيف الظل - رعاك الله - ثانية.

* من الأدب أن لا تتصل بشخص وأنت في دارك في وسط من اختلاط الأصوات، وضجيج الأولاد، فعليك بالتصون، وحفظ العورات، وإظهار المكرمات، ولا تحملك الألفة على التبذل.

ولا تحملك الألفة - أيضًا - ومتانة الصحبة، على القهقهة، والإسفاف، والتبذل، فإنه يجرك إلى استمرائه مع الآخرين، فيصير طبعًا لك تعرف به.

□ شغل الانتظار:

صار الناس في هذا على طرفي نقيض: فمنهم من يشغله باللهو، من غناء، أو موسيقى ونحوهما، فهذا حرام لا نزاع فيه معتبرًا.

ومنهم من يشغل لحظات الانتظار بقرآن، أو ذكر، ونحو ذلك. وإن نبل الهدف في هذا لا يُسَوِّغه؛ لأن التحكم في الوقوف على رءوس آيات القرآن الكريم، أو على المقطع المناسب من الحديث، غير ممكن، فيقع وقوف غير مرضي شرعًا.

ولذا: فلا هذا ولا ذاك، وليبق المنتظر مع السماعة ساكتًا، حتى يُستأنف الحديثُ، وأي ضير في هذا؟! ولا داعي للترف، والإيغال، والتعمق في مراعاة الشعور الذي يعود بما لا يجوز.

* من رعـاية المصالح وحـفظ الأمانة، أن تجـعل لكل هاتف وظيفـته، فـلا تشغل هاتف المكتب - الذي تعـمل فيـه موظفًا - بشئـونك الخاصـة، وتدبير أمـورك، هذا هو الأصل، وللناس في ذلك أحوال، ضابطها: رعاية الأصلح.

□ استعمال هاتف غيرك:

اجتهد مـا استطعت في ترك الاستعمال لهـاتف غيرك، فإن ألجأتك حاجة، فاحذر استعـمال هاتفه إلا بعد التلطف باستئذانه، ولا تطلب الإذن من قليل ذات اليـد، ولا من ضـيق نفس؛ يأذن وهو متبرم.

□ الهاتف وأهل الدار:

وإذا تأملـت البقـاع رأيتهـا تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

سعيد، ذلك البيت الذي تحت قوامة راع، عاقل، بصير، غير فظ ولا غليظ، ولا صخاب، موفق بحـسن التدبير، وضبط الأهل من زوجة، وولد، ومن تحت رعايته، في ظل الشرع المطهر.

وكان من تدبيره في الهاتف:

أن المرأة لا ترفع يد الهاتف، وفي الدار رجل من أهلها.

وأن الأهل محجوبون عن فضول الاتصال.

وقـد لقنهم آداب الهـاتف، ونشأ أولاده على ذلك فـأصـبح لديهم من الأدب الموروث.

ومسكين صاحب البيت «المسبُوه»[1] هاتفه في الدار مـبثوث، واقع في كف كل لاقط من بنين، وبنات، وكبار، وصغار، إذا دق جرس الهاتف لقطه أكثر من واحد.

وإذا كلمت المرأة المهاتف استرسلت مـعه كأنما تُهاتف والدَها بعد غيـبة طويلة، فيالله كم يقع في الدار من شـرار فاللهم لطفك وستـرك يا كريم يا رحمن يا رحيم. والموفق من إذا ذكـر تذكر، وإذا بصر تبصر.

□ الهاتف والمكتب:

نظرت في تعليمات - السكرتارية - لدي إدارة البرامج التدريبية، فوجدت فيها تعليمات طويلة المشوار، كثيرة العثار، مما لا يليق بنا عربًا مسلمين، يفترض فـي مسئولينا القدوة للمسئولين في العالم من التواضع، وترك اتخاذ الحاجب وأن يكون الهاتف لدى المسئول مباشرة.

(١) السبه: ذهاب العقل.

هذا على وجه العموم، أما خواص المسئولين في مواقع عامة، فلا يسعهم إلا أن يكون الهاتف بواسطة حتى يصفى المهم منها، فيمكنه من الاتصال، ويصرف الاتصالات الغثائية، أو التى يمكن أن يوجه أصحابها إلى جهة ثانية لإنهاء مطالبهم، دون اللجوء إلى ذلك المسئول.

والعمدة هنا: رعاية الأصلح، وكلما ابتعد المسئول عن إحاطة نفسه بهالة فهو أولى، وأسعد له وأنجح، وحري أن يسدد الله عمله.

☐ الهاتف والمستفتى:

جميلة طريقة ذلك المستفتى الذي يتصل على المفتي قائلاً: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لدي - أحسن الله إليك - سؤال، هو ...**» وبعد نهاية المكالمة، يقول: «**جزاكم الله خيراً، وأثابكم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**».

طريقة، مؤدبة، مختصرة، خالية من تطويل التحايا بلا طائل، وتعطي الفرصة لسائل آخر.

*** لكن ماذا هنا من المحاذير، وماذا هنا مما يقع من الأذايا:**

الأسئلة المفتعلة لاختبار فقه المفتي، فقد يكون المستفتي،

بحث المسألة، وحضر الجواب، ثم يـأخذ في التعنت، والمحاجة؛ ليظهـر عجـز المفتي، وهذا يفـعله بعض الذين شـبعت روحـهم بالتنفير من العلماء، والوقوع فيهم.

ومن طريقتـهم أيضًا: الأسئلة المفتـعلة لمعرفة انتمـاء المفتي، فـيُعَمِّدون بعض الشـباب المتـدين المغـرر بهم لسـؤال المفـتي عن موضوع كذا؛ لـيثبتوا له أنه صاحب بدعـة، على مشربهم الموغِل في الغلو، وإيجاد الفجوة السحيقة بين العلماء وشباب الأمة.

ومن طريقتهم: إثبات اضطراب المفتيين.

ومن المهـاتفة المؤذية من بعض المسـتفـتين: سؤال أكـثر من واحد، طلبًا للترخص.

والإزعاج في أوقات غـير مناسبة للاتصـال، وتطويل السؤال بلا طائل.

والاتصال على المفتي، على غير هاتف الفتوى المخَصَّصِ لها.

وتسجـيل المهاتفـة، ونشرها بدون إذن المفتـي فيهـما، وهذا التصرف خيانة، يأتي بيانها.

□ تغريب لغة الهاتف:

اللغة العربية من شعائر الإسـلام، والتكلم بها حفظ لشعائر الإسلام، فيجب حفظ هذه الشعيرة، وكف الدخولات عليها، ولذا فاحذر تلك الألفاظ المولدة، التي يأباها اللسان العربي أشد الإباء، والشريعة ناهية عما يفسد لسان العرب وعن التعلق بلغة الكافرين، والأعجميين، وخلطها بلغة الضاد، لسان المسلمين، وإليك بضعة ألفاظ في حضارة العرب، وفيها غناء عما يقابلها في حضارة الغرب، والعجم:

اللفظ العربي	اللفظ الأعجمي
الهاتف، أو : المسرة	التلفون
النداء	البيجر
راسل[1]، أو: لاقط[2] أو: فقس [3]	فاكس
جهاز التَّنصُّت	جهاز التَّصَنُّت
ابدأ بلفظ: السلام عليكم	لا بلفظ: ألو، هلو

---

(١) هكذا أراه. (٢) وهذا تعريفه من الشيخ: حمد الجاسر.

(٣) تعريب مجمع اللغة، وهو من مادة: فقس، يقال: فقست البيضة، إذا خرج منها الفرخ.

□ **الهاتف المنعش:**

هو الذى تصل فيه الرحم، لاسيما من قطعك، وتسقي به شجرة الإخاء بينك وبين من شاء الله ممن تعرفه من المسلمين، في التهاني الشرعية، والبشارة بالخير، وقضاء حوائج إخوانك.

وفي السلام على المريض، والدعاء له، والسؤال عن حاله بلا إملال، واحذر سؤال المريض مفصلاً عن مرضه.

وفي مواساة مصاب بقريب، أو مال، أو نحوه، فكم في المواساة من تسلية المصاب.

ولا تحجبك المهاتفة عن سنة نقل الخطى إلى هذه الفضائل، ولكن حيث تقصر بك الحال عن الزيارة.

وإذا كانت زيارة المريض والمصاب خفيفة، مقدرة بجلسة الخطيب بين الخطبتين، فلتكن المكالمة الهاتفية كذلك. هذا هو الأصل، ومن يأنس بك فله حال لا تخفى.

□ **المهاتفة المؤذية:**

أذية المسلم حرام، وتخوّنه حرام، وهتك حرماته حرام.

ومن هذه الأذايا ما يقع في المهاتفة، ومنها:

(أ) الخيانة المضاعفة:

لا يجوز لمسلم يرعى الأمانة ويبغض الخيانة، أن يسجل كلام المتكلم دون إذنه، وعلمه، مهما يكن نوع الكلام: دينيًا، أو دنيويًا، كفتوى، أو مباحثة علمية، أو مالية، وما جرى مجرى ذلك.

وقد ثبت من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إذا حدث الرجل الرجل فالتفت فهي أمانة» رواه أحمد وأبو داود، والترمذي.

ومعنى: «التفت» أى؛ ظهر من حال المتكلم بالقرائن: حذره بالتفاته يمينًا وشمالاً، أن لا يسمع حديثه أحد[1] «فتكون الكلمة التي حدثك صاحبك بها أمانة عند المحدَّث أودعه إياها، فإن حدث بها غيره، فقد خالف أمر الله، حيث أدى الأمانة إلى غير أهلها، فيكون من الظالمين، فيجب عليه كتمها؛ إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق، قالوا: وهذا من جوامع الكلم، لما في هذا اللفظ الوجيز من الحمل على آداب العشرة، وحسن الصحبة، وكتم

(١) فيض القدير: للمناوي ١/ ٣٣٩.

السر، وحفظ الود، والتحذير من النميمة بين الإخوان المؤدية للشنآن ما لا يخفى. قال في «الإحياء» - للغزالي - : «إفشاء السر خيانة وهو حرام، إذا كان فيه إضرار».

وقال الماوردي: إظهار الرجل سر غيره، أقبح من إظهار سر نفسه؛ لأنه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كن مؤتمنًا، والنميمة، إن كان مستخبرًا، فأما الضرر فيما استويا فيه، أو تفاضلا، فكلاهما مذموم، وهو فيها معلوم.

وقال الراغب: السر ضربان: أحدهما: ما يُلقي الإنسان من حديث يستكتم، وذلك إما لفظًا، كقولك لغيرك: اكتم ما أقول لك، وإما حالاً: وهو أن يتحرى القائل حال انفراده، فيما يورده، أو خفض صوته، أو يخفيه عن مجالسه، وهو المراد في هذا الحديث. انتهى.

فإذا سجلت مكالمته دون إذنه وعلمه، فهذا مكر وخديعة، وخيانة للأمانة.

وإن نشرت هذه المكالمة للآخرين، فهي زيادة في التخون، وهتك الأمانة.

وإن فعلت فعلتك الثالثة: التصرف في نص المكالمة بتقطيع، وتقديم، وتأخير. ونحو ذلـك إدخالاً أو إخراجًا - دبلجة - فالآن ترتدي الخيانة مضاعفة، وتسقط على أم رأسك في: «أم الخبائث» غيرَ مأسوف على خائن.

ولذا ضعف «التسجيل» عن حجية الإثبات والحكم قضاء إلى رتبة القرائن.

* **والخلاصة**: أن تسجـيل المكالمة هاتفيـة، أو غير هاتفـية، دون علم المتكلم وإذنه، فجـور، وخيانة، وجرحـة في العدالة ولا يفعلهـا إلا الضامـرون في الدين، والخلق، والأدب، لاسيـما إن تضاعفت كما ذكر. فاتقوا الله - عباد الله - ولا تخونوا أماناتكم، ولا تغدروا بإخوانكم.

(ب) جهاز التنصت:

بلغت التقنية الحـديثة ومخترعاتها مـبلغًا، وصل في بعضها حد اللعب بكرامة الإنسان أو استغلاله في إهدارها.

ومنه: ما يقوم به فرد من الناس باستعمال جهاز التنصت، ونقل المكالمات، لا سيمـا غير المغطاة، ويقضي سـاعات ليله ونهاره في

الفرجـة على أحاديث الناس، وما يجـري بينهم دون علم منهم، وهذا محرم لا يجوز، سواء عرف المتهاتفين، أم أحدهما، أم لم يعرفهما.

وقد ثبت من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: « من استمع إلى حـديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة». رواه البخـاري في صحيحه، ونحوه في: «الأدب المفرد».

(جـ) المعاكسة:

كنت أظنهـا مرضًا تخطاه الزمن، وإذا بالشكوى تتـوالى من فـعلات السـفهـاء، في تتبع مـحـارم المسلمين في عقـر دورهن، فيستجرونهن بالمكالمة والمعاكسة السافلة.

ومن السفلة من يتـصل على البيوت مسـتغلاً غيـبة الراعي؛ ليتخذها فـرصة عَلَّه يجد من يستدرجه إلى سـفالته. وهذا نوع من الخلوة، أو سبيل إليها، وقد قال ﷺ: فيما رواه البخاري ومسلم: «إياكم والدخول على النساء» أي: الأجنبيات عنكم.

فهذا وأيم الله، حرام، حـرام، وإثم، وجناح، وفاعله حري بالعقوبة، فيخشى عليه أن تنزل به عقوبة تلوث وجه كرامته.

ومما ينسب للإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

إن الزنى دَيْن فإن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

نعوذ بالله من العار، ومن خزي أهل النار.

وعلى رب الدار، أن يبذل الأسباب، ويوفر الضمانات لحماية محارمه من العابثين، والسفهاء، ومن هذه الأسباب:

أن يكون «الهاتف» في مكان، لا تغاب عنه الرقابة البيتية، مع منع تعدد أجهزة الهاتف في الدار، خاصة في غرف البنات، وأن ينظم الراعي مع أهل بيته، من يتولى الرد على الهاتف، وآداب الرد، وعدم الاسترسال مع المتصل، وهكذا مما لا يخفى على محبي العفة والكرامة.

(د) سعار الاتصال:

احذر فضول المهاتفة، حتى لا يصيبك سعار الاتصال، فكم من مصاب به، فمن حين يرفع رأسه من نومته، يدني مذكرته - نوتته - ولا كالطفل يلتقم ثدي أمه، فيشغل نفسه، وغيره، عبر الهاتف، من دار إلى دار، ومن مكتب إلى آخر، يروح عن نفسه ويلقي بالأذى على غيره.

وليس لنا مع هؤلاء حديث إلا الدعاء بالعافية، وننصحهم بمعالجة وضعهم من هذا الفضول.

(هـ) هاتف الإرهاب:

ثبت في السنة الترهيب من ترويع المسلم، وإخافته، وأن ترويعه، وإخافته، من كبائر الذنوب، والظلم العظيم، فعن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أنه ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا» رواه أحمد، وأبو داود. ونحوه عند الطبراني من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ ونحوه - أيضًا - لدى البزار، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

كما ثبت النهي عن الإشارة إلى المسلم بحديدة؛ لإخافته، وورد النهي عن النظرة المخيفة إليه؛ لترويعه، وإخافته، فكذلك المهاتفة المرهبة، فكم من قلب نكتت فيه أدواء من الغل، والحقد، والحسد، فتحولت آدميته إلى حياة سبعية ضارية، وكلب عقور، فما أن يجد في نفسه على آخر أي وَجْدٍ إلا ويسلك أقذر السبل؛ لإيصال الشر إليه، وتمنى زواله، وزوال نعمته.

ومنه مسلك الإخافة والإرهاب الهاتفي، فيتصل الفاجر، من

هاتف مجهول، متقمصًا صوتًا مستنكرًا، فيذكر له من أنواع الترويع، والإخافة، ما عسى أن يقض مضجعه، ويؤثر عليه بأي سالب.

وهذا الكلب العقور، حري، أن يعاقبه الله في لحظته، ورب دعوة تسري إليه بليل وهو عنها غافل، فتصيبه العقوبة في عقر داره.

نعوذ بالله من الظلم وعاقبته.

* **ونصيحتي** لك أيها المبتلى بهذا الفاجر، أن تكون رابط الجأش، ثابت الجنان، فلا تلقى لهذا الاتصال الإرهابي المفتعل أي بال، وأنه كالأحلام الرديئة والحلم من الشيطان، يخيف به العبد، وهذا من شياطين الإنس، فاستعذ بالله من شره، وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء عليه بأن ينتقم الله منه، عليه من الله ما يستحق.

(و) الهاتف الوهمي:

في الجماعة [1]، أفراد يحملون همَّ العظمة، وأن يحمدوا بما لم يفعلوا. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور».

---

(١) هذا هو اللفظ الجاري في لسان الشرع المطهر، أما لفظ: «المجتمع» فغير مرضي لما بينته في: «المواضعة».

ومن المهاتفين العراة، إجراؤهم المهاتفة الوهمية، لبعض ذوي القدر، والمكانة، أو ذوي القدرة والجاه واليسار، أو يُسرِ إلى بعض خواصه، أن يتصل به، على أنه ذاك الذي يشار إليه، فترى المسكين يوهم الحاضرين عنده، بالاهتمام البالغ، وبعض العبارات، والحركات لهذه المقامات؛ ليبين للحضور أنه شخص مرموق رفيع المستوى، كأنه يقول: «ها أنا ذا فاعرفوني».

وهو اتصال وهمي مكذوب.

وقد شاهدت وشاهد غيري من ذلك عجبًا.

والمهم أن يعرف أولئك أنهم عراة، وقل أن تخفى حالهم، فلا تسلك أيها المسلم سبيلهم.

وقد زاد الطين بِلَّة، وجود: «النداء» - البيجر - فبعض الناس لا تحس أنه يحمل في جيبه: «النداء» لحسن تصرفه، فهو في حوزة عاقل، وإن نفعه ومصلحته لظاهره، لكن الشكوى من بعض «النفاخين» فيما يظهره من بعض التصرفات والفعلات السخيفة، وسبحان واهب الفضائل. وعلى رسلك أيها: «النفاخ» فإن «النداء» لم يصل إلى عالمنا الثالث الذي ليس بعده من رابع، إلا بعد أن

ابتذل، واكتسب اسم: «نداء البقر» كما في: «اليابان»؛ إذ يعلق في رقبة البقرة الحلوب، وعند إرادة حلبها يضرب لها النداء وهي في المرعى، فتعود أدراجها؛ لتحلب.

* هذه جملة من آداب استعمال الهاتف، على المسلم التحلي بها، ومجموعة من المناهي، والمحاذير التي يجب اجتنابها، وهي تدل على غيرها مما لم يذكر، وأما الأحكام الفقهية الأخرى كإجراء العقود في هذه الاتصالات الحديثة، فلها أحكام مفصلة لدى عدد من فقهاء العصر، وقد قام «مجمع الفقه الإسلامي الدولي»، بدراسة عدد منها، وأصدر فيها القرارت اللازمة، وذلك في دورته السادسة بجدة.

والحمد لله رب العالمين

بكر أبو زيد
٤/ ١/ ١٤١٦ هـ
في مدينة النبي ﷺ